اذن، هناك مشروعان لفلسطين على أرض فلسطين، يطمح كل منهما أن يكون مركز ثقل في منطقة الشرق الأوسط، احدهما وافد من خارج المنطقة (الصهيوني) ويحمل سمات وخصائص وطموحات الحضارة التي وفد منها (غربي)، والآخر (الفلسطيني) من مكونات المنطقة ويحمل سماتها وخصائصها، وهو امتداد لحضارتها ويطمح لصياغة عصرية لتلك الحضارة (على الرغم من ان المشروع الفلسطيني لم يتبلور بعد على يد القائمين عليه، وهذه مهمة يجب انجازها). والفارق يكمن في أداتي المشروعين. فللمشروع الأول (الصهيوني) أداته (دولة اسرائيل)، وله ايديولوجيته الصهيونية بأسسها الدينية، وله حلفاؤه المتعاطفون معه فكراً ومصالح (الغرب الرأسمالي)، حيث يشكلون سنداً متيناً له (التحالف استراتيجي)، ويصرون على استمراره (اسرائيل وجدت لتبقى ـ الاتفاق الثلاثي ١٩٥٠). ويمتلك المشروع الصهيوني تصورات متكاملة لوجوده المستقبلي في المنطقة ودوره فيها. أما المشروع الثاني (الفلسطيني)، فما زال جنينياً، وهو تمنيات أكثر منه خططاً، ويفتقر إلى أيديولوجيا واستراتيجية واضحتين، وأداته (منظمة التحرير الفلسطينية) لاجئة من مكان إلى آخر ومحكومة بتحالف رخو (الدول العربية)، حيث يعمد حلفاؤها إلى جرجرتها للانضواء في الاطار الذي يطمحون دخوله كأنداد لاسرائيل (المطالبة بموقف متوازن من الولايات المتحدة تجاه أطراف الصراع) وبالصيغ التي تناسب وضعهم. ويمكن القول، بلغة مبسطة، ان المشروع الاسرائيلي مشروع هجومي ـ استراتيجي، بينما المشروع الفلسطيني دفاعي ـ تكتيكي (حتى الآن) لأنه مرهون بصياغة مشروع استراتيجي عربي ما زال في مستوى التمنيات (دولة الوحدة)[٤]. ولا يمكن توفير الاستقرار في المنطقة إلا باختفاء أحدهما: أي أن الأمل في الوصول إلى تسوية بين المشروعين، الصهيوني والفلسطيني، مستحيل (الاسرائيليون يقولون بعدم وجود شعب فلسطيني، والفلسطينيون يقولون بعدم وجود قومية يهودية).

دول على طريق الكيان

من المعروف أن الدولة بالمفهوم العصري وفدت إلى المنطقة مع دخول الاستعمار إليها، وقام العديد من دول المنطقة تحت اشرافه واستقلت بخروجه منها، ومنها دولة إسرائيل. وانتشر مفهوم الأمة والقومية والوطن من خلال الاتصال بالفكر الغربي أولاً، ثم بحث عما يدعم هذا الفكر في تاريخ المنطقة. ولم يتفق المفكرون القوميون، حتى الآن، على نقطة بدء للتاريخ القومي العربي (منهم من قال بالاسلام بدءاً، ومنهم من ردها إلى ما قبل الاسلام ـ جدّا العرب قحطان وعدنان ـ ومنهم من قال بالدولة الأموية بدءاً، الخ، وباب الاجتهاد ما زال مفتوحاً). وخلافاً لواقع الغرب، نجد في منطقة الشرق الأوسط، وتحديداً العرب، أن هناك الوطن، الذي اتُفق على تسميته قطراً، وهناك الامة التي تطمح لصياغة الوطن ـ الحلم في «دولة الوحدة». لذلك نجد أن الدول العربية، عند صياغة دساتيرها، لم تعلن نفسها أوطاناً لشعوبها، بل اعلنت أنها جزء من أمة ستعمل على توحيدها. بالمقابل، صارعت تلك الدول بعضها بعضاً في مواجهة مع مشاريع التوحيد التي كانت تطرح بين الحين والآخر، من هذه الدولة او تلك (سوريا الكبرى، الهلال الخصيب، الاتحاد العربي الهاشمي، وحدة مصر وسوريا، وإن تعدد ما تبقى من مشاريع توحيدية طرحت بعد السبعينات، لكثرتها وتفاهتها، حيث أن بعضها كان أقرب إلى اسلوب زيجات المتعة). ورهن بعض الحكام العرب انجاز